الإبانة عن أسباب الإعانة
على صلاة الفجر وقيام الليل





كتبته أم عبد الله
... بنت محمد بن محارب
المحاضرة بكلية التربية

دار عالم الكتب

2
M

إهـــــــداء ٢٠١٣

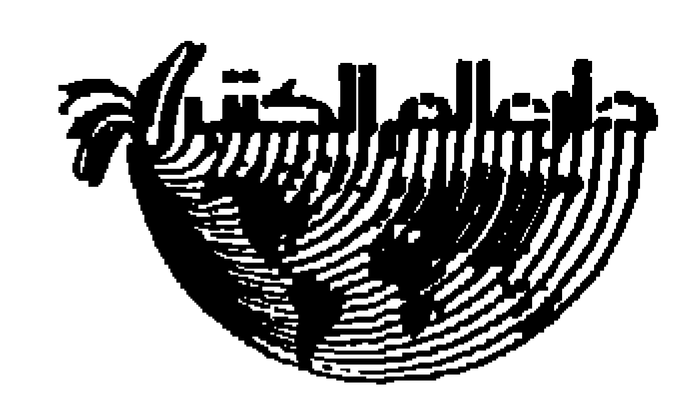
الاستاذ عبد الله فيصل بدوى

جمهورية مصر العربية

الإبانة عن أسباب الإعانة
على صلاة الفجر وقيام الليل

حقوق الطبع محفوظة للناشر

١٤١٢هـ - ١٩٩١م



دار عالم الكتب
للطباعة والنشر والتوزيع
العليا - غرب مؤسسة التحلية - ت : ٤٦٥١٦٨٩ / ٤٦٣١٧٢٢
ص . ب ٦٤٦٠ - الرياض ١١٤٤٢ - تليفاكس : ٤٦٣١٣٣٦
المملكة العربية السعودية

الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل

كتبته أم عبد الله
رقية بنت محمد بن محارب
المحاضرة بكلية التربية

دار عالم الكتب للنشر والتوزيع
بالرياض

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ؛ وأشهد أن لاإله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . (١)

{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون } آل عمران : ١٠٢

{ ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً } النساء ١

{ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً } الأحزاب ٧٠ , ٧١ .

---

(١) خطبة الحاجة من حديث ابن مسعود .

أما بعد . . .

فإنّا في زمان كثرت فيه الفتن ، وفشت فيه الذنوب ، وتجافى الناس عن دينهم إلا من رحم ربك ، حتى صار القابض على دينه كالقابض على الجمر .

وبُعْدُ الناسِ عن دينهم شر لهم ، ووبال عليهم ، وتقربُهم إلى الله بالطاعات ، وعمل الخيرات ، والحرص عليها خير لهم ، ونجاة من عذاب الله وسخطه ، ولن يزيدوا في ملك الله شيئاً . وإنما ينقذون أنفسهم من النار { ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ماأمرهم ويفعلون مايؤمرون } التحريم : ٦ .

ولقد اقتضت حكمة العليم الخبير أن يخلق الجنة والنار ، ويخلق لكلٍ أهلاً ؛ فأهل الجنة هم أهل الطاعة والإيمان ، وأهل النار هم أهل الكفر والفسوق والعصيان .

وذلك غاية العدل من الله ، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين ويهمل الكفار دون عقاب ولاجزاء .

ولكن الله سبحانه إذ خلق جنته وجعل لدخولها عملاً جعل هذا العمل ميسوراً سهلاً ، وهو كذلك لمن يسره الله عليه ، وأخذ بأسبابه أما من اتبع هواه ، واقتفى أثر الشيطان ، وتمنى على الله الأماني ، فليس له بميسور ، إلا أن يتوب إلى الله ، ويحارب الشيطان بكل الوسائل التي يستطيعها .

والعمل الصالح ينقسم قسمين :

قسم لاينفك المسلم عنه ، فلابد من الاتيان به ، ولايعذر المرء بتركه ، وهذا عليه المعوّل في دخول الجنة ، والنجاة من النار ، وذلك كالإيمان بالله سبحانه وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة،وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً .

وقسم يأتي به المسلم على قدر طاقته ، وليس بمكلف به حتماً ، ولايأثم بتركه ، وإنما يزداد بفعله عند الله قرباً ، وجزاء هذا العمل الازدياد في الأجر والثواب والارتقاء في درجات الجنة ، فإنها درجات ، مابين الدرجة والتي تليها كما بين السماء والأرض .

وهذا القسم يتمثل في النوافل والسنن ومكارم الأخلاق .

وقد قدم الله القسم الأول على الثاني وجعل القرب من الله لايكون إلا به ، ثم يزداد بالثاني محبةً وقربة ، وقد بين ذلك الحديث النبوي القدسي الصحيح الذي يرويه المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ربه فيقول :

(يقول الله عز وجل ماتقرب إلي عبدي بأحب مما افترضته عليه ، ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذ أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لاعطينه ، ولان استعاذني لاعيذنه) متفق عليه .

فمن ذا الذي لايريد قرب اله ، ومن ذا الذي لايريد أن يكون الله له محباً ، وهل يفرط الحبيب في حفظ حبيبه أو نصرته أو عطائه . الكل يتمنى ذلك ، ولكن هل كل يستطيع أن يتقرب إلى الله بالفرائض ، ويزداد تنفلاً حتى يحبه الله ويكون سمعه وبصره فلايسمع إلا بالله ، ولايبصر إلا به .

إن هذا الفضل لايمكن أن يسدى هكذا دون بذل وتعب ، وهل يتفوق الكسلان ، أو هل ينجح المهمل ·

لابد من البذل لابد من الجهاد للنفس والشيطان ·

وإني لأهمس في آذان إخواني ·· الحياة كلها تعب ، ولاراحة فيها لأحد ، ويؤكد ذلك قوله تعالى { ولايخرجنكما من الجنة فتشقى } طه ·

فلِمَ لايكون تعبنا محققاً لنتيجة ·· نتيجة عظيمة ·· لاتزول ولاتحول ، إنها الجنة ، الجنة التي لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر نعيمها ·

ومن كان تعبه للدنيا كثيراً فتعبه للآخرة قليل ، ومن هذه حاله ضحك قليلاً ، وبكى كثيراً ·

إن الناس اليوم قد قصروا كثيراً في طلب الآخرة ، واكبوا علي الدنيا وتعبوا في طلبها ·· فكم من عبد يسهر ليله في التفكير في مشروعه التجاري ، ويقوم الفجر لمتابعة بنيانه أو تجارته ·· وكم من شاب وشابة يقومان قبل الفجر للمذاكرة للامتحان !! ولكنهم

ينامون ملء جفونهم عن صلاة الفجر بل ولايفكرون أن يقوموا من الليل ساعة أو عشر الساعة إذا لم يستدعهم إلى القيام شيء من أمور الدنيا .

لقد قصر الناس هذه الأيام في طاعة ربهم !! ومن مشاهد هذا التقصير ، التقصير في صلاة الفجر .. فلاتكاد ترى شاباً مستيقظاً مع الأذان لصلاة الفجر يريد أن يدرك تكبيرة الإحرام أو يدرك ركعتي الفجر التي هي خير من الدنيا ومافيها .. فضلاً عن أن ترى شاباً صافاً قدمية في مصلاه قبل الفجر بساعة يرجو رحمة ربه ويحذر الآخرة يناجي مولاه ويشكو إليه حاله وفقره وضعفه ويسأله من خير الدنيا والآخرة .

إن هذا التقصير في صلاة الفجر ، وحضورها ، وهذا التفريط في قيام الليل الذي هو خير عبادة بعد الفرائض ، جعلني أحاول نصح إخواني وأخواتي خلال هذه الرسالة لنناقش معاً أسباب هذا التقصير وكيفية تحاشيه ، لعل الله أن يرفع عن هذه الأمة ماحَلَّ بها من الفرقة والفتن أو يقبضنا على خير ويلحقنا بالصالحين .

وسأتناول في رسالتي النقاط التالية : -

١- تهاون الناس في صلاة الفجر والقيام والترهيب من ذلك ٠

٢- الترغيب في حضور الفجر جماعة وفضل قيام الله من الكتاب والسنة ٠

٣- مايعود على المسلم من قيام الليل في الدنيا والآخرة ٠

٤- الأسباب المعينة على قيام الليل ٠

٥- الأسباب الصارفة عنه ٠

٦- الترهيب من ترك قيام الليل ٠

٧- ماجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالح في قيام الليل ٠

وختاماً نسأل الله جميعاً أن يعلمنا ماينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ٠

والله المستعان

فصل في : تهاون الناس في صلاة الفجر والترهيب من ذلك

أعتقد أنه لايخالفني أحد في أن حضور صلاة الفجر جماعة أو ادائها في وقتها أقل من غيره من الفروض ؛ فمن يرى المصلين في صلاة المغرب أو العشاء ، ويراهم في صلاة الفجر ، يدرك مدى التهاون في صلاة الفجر ، وكم نسبة المتهاونين فيها .

إن مؤديّ صلاة الفجر لايبلغون ربع [1] مؤديّ صلاة المغرب – مثلاً – فلم ذلك ؟!

أليستا في الفرضية سواء ؟! أليستا في الأجر سواء ؟! بل قد خصت صلاة الفجر بشرف شهود الله لها ،ومن صلاها جماعة فكأنما صلى الليل كله ، كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وشرف شهود صلاة الفجر أخبر عنه الله سبحانه بنص الآية حيث قال { وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً } الإسراء

---

(١) نشرت مجلة الدعوة بتاريخ ٢٠/١٠/١٤١١هـ تحقيقاً بعنوان « صلاة الفجر الحد الأعلى ربع المصلين » وقد أجريت عدة مقابلات مع عدد من أئمة المساجد شهدوا بذلك . فراجعه إن شئت . العدد ١٢٩٠ .

قال المفسرن قرآن الفجر صلاة الصبح ، وسميت بذلك لكثرة مايقرأ فيها من القرآن . [1] .

إن هذا التفريط من الناس مدعاة لغضب الرب سبحانه ، فإنه ينزل إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير حتى يصليّ الفجر . . فكيف لايغضب الله تعالى وهو يرى من عباده الزهد في لقائه ، وإيثار النوم والراحة على القيام لمناجاته وسؤاله ، وهو المتفضل ذو الجلال والإكرام .

أين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ الذي غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ، وكان يقوم حتى تتفطر قدماه فيقال له فيقول ألا أكون عبداً شكوراً .

روى المغبرة بن شعبة رضي الله عنه قال :

« قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فقال : أفلا أكون عبداً شكوراً » متفق عليه .

---

(١) فتح القدير ٣ / ٢٥١ .

قال الغزالي - رحمه الله - يظهر من معناه أن ذلك كناية عن زيادة الرتبة ، فإن الشكر سبب المزيد قال تعالى : { ولئن شكرتم لأزيدنكم } ابراهيم آية : ٧ [١] .

يظهر من هذا الحديث مدى حرص المصطفى صلى الله عليه وسلم على عبادة ربه ومع هذا فلم تزل تتنزل عليه الآيات التي أشد على صدره من وقع الجبال { إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً } المزمل : ٥

الله أكبر !! كيف نتصور تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : { وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره . وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً . إذاً لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً } الإسراء آية : ٧٣ ، ٧٤ .

كيف نتصور تلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:

{ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن

---

(١) إحياء علوم الدين ١/٣٥٣

عملك ولتكونن من الخاسرين } الزمر آية : ٦٥ .

كيف نتصور تلقيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : { ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته } المائدة آية : ٦٧ .

بل كيف نتصور تلقيه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : {ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم } الأنفال : ٦٧ , ٦٨ .

الله أكبر كيف يتحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي هذه الآية ؟ ! . . إنه الصبر . . إنه الصلاة . . إنه الإيمان العظيم الراسخ . . إنه الاجتهاد والمجاهدة لتكون كلمة الله هي العليا ، ولقيام شرع الله في الأرض . . إنه كمال المحبة . . . وكفى !!

كما المحبة الذي يجعله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل وثلثيه ونصفه وثلثه . . يرتل القرآن ترتيلاً ، باكياً ، خاشعاً ، خائفاً على أمته . .

إن هذا الوقوف بين يدي الله في هدأة العيون وظلم الليالي ، والسكون ، لهو أكبر دليل على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لربه تعالى ، مع أنه غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر .. إنها لذة المناجاة للحبيب التي لايعرفها إلا من ذاقها .

إن هذه الوقفة والمناجاة تحقق لذة في القلب أثناءها وبعدها ، ونوراً في الوجه رغم السهر حيث يشعر العبد بالغبطة والسعادة .. وسر ذلك رضى الله سبحانه وتعالى حيث يضحك ويعجب لمن يترك فراشه الوثير ، وزوجته الحسناء رغبة فيما عند الله وطلباً لمرضاته.

وكيف لايرضى وهو الذي يقول : { مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليماً } النساء آية : ١٤٧ .

إن شكرتم !

تأملي أختي وتأمل أخي هذه الكلمة وتأمل قوله صلى الله عليه وسلم « أفلا أكون عبداً شكوراً » .

شكوراً بماذا ؟ بالقيام بالعبادة والعمل لا باللسان والقلب فقط

فهل نحن نشكر الله على نعمه التي لاتحصى بالقيام ولو ساعة أو ربع ساعة .

كثير منا يردد الشكر بقلبه وعلى لسانه فإذا ذكر بالشكر بالعمل قال الله يهدينا ويعفو عنا ..

نعم .. الدعاء بالهداية والعفو مطلوب .. ولكنْ هل بذلنا أسباب الهداية والعفو .. وهل نريد أن نبذلها .

إن كنا نريد أن نبذلها حقاً .. فلنتعاون على بيان أسباب القيام ونتعاون كذلك على العمل بها ، ونسأل المولى الغني الكريم أن يعلمنا ماينفعنا وينفعنا بماعلمنا ، ولايكون همنا نيل العلم لمماراة السفهاء والرياء والسمعة .

فصل في : الترغيب في حضور الفجر جماعة
وفضل قيام الليل

أخي المؤمن إن من أعظم الأسباب المعينة على القيام لصلاة الفجر معرفتك للأجر العظيم الذي يحظى به مصلي الفجر شاهداً .. أي أول الوقت ، وكذلك في الجماعة .

وقد رغب المولى سبحانه في محكم كتابه في حضور صلاة الفجر وادائها في وقتها ،قال تعالى:{ أقم الصلاة لدلوك الشمس إلي غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً . ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً} الإسراء:آية ٧٧ .

قال المفسرون المراد بقرآن الفجر صلاة الصبح ، ومشهوداً أي تشهده الملائكة ، ملائكة الليل وملائكة النهار كما ورد ذلك في الحديث الصحيح (١) .

وقال سبحانه : { حافظوا على الصلوات والصلاة والوسطى

---

(١) فتح القدير ٣/٢٥١ .

وقوموا له قانتين } البقرة آية : ٢٣٨ .

والصلاة الوسطى اختلف فيها على أقوال منها أنها صلاة الفجر ومنها أنها صلاة العصر وهو رأي الجمهور لما ثبت عند البخاري ومسلم وأهل السنة وغيرهم من حديث علي رضي الله عنه قال : كنا نراها الفجر حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الأحزاب : « شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله قبورهم وأجوافهم ناراً » .

وقال سبحانه { ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم } الطور : ٤٩

هذه كلها أوامر والأمر هنا للوجوب في صلاة الفجر ، وللندب في قيام الليل، دل على ذلك السنة المطهرة فعليك أن تسارع إلى القيام بما أوجب الله عليك ، فإنه أحب ماتقربت به إليه ، وأنت عبد ضعيف فقير إلى عفو ربك وغناه وجزائه ومثوبته فبادر إلى التنفل في جوف الليل فإنه أفضل الصلاة بعد الفريضة ، وتذكر أن قيام الليل صفة عباد الله المؤمنين الذين امتدحهم وأثنى عليهم ، ووصف ماأعده لهم من نعيم ومالهم من ثواب في محكم كتابه في آيات

متعددة منها قوله تعالى : { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون } السجدة آية : ١٦ . هذه صفتهم وهذا عملهم أما جزاؤهم فإنه أعظم مما قنعوا { فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } السجدة آية ١٧ .

فأي نعيم هذا وأي جزاء وأي مثوبة ، العمل لها سهل ميسور ، وقليل إذا قرن بما له من جزاء ، وحينما يقوم المرء المسلم بهذا العمل يستحضر ذلك الجزاء فإنه لايجد تعباً ولاكللاً . بل يجد اللذة التي تحلق به في جو السماء ليعيش في السعادة التي لاينالها إلا أصحاب الليالي الساهرة في عبادة الله .

أصحاب هذه الليالي أخبرنا الله عن مشهد من مشاهد لياليهم فقال : { إن الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً } الإسراء : ١٠٧-١٠٩ .

ويكشف القرآن عن مشهد آخر يبين حال هؤلاء بأنهم { كانوا

قليلاً من الليل مايهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون } الذاريات ١٧ . ١٨ . وبأنهم { يبيتون لربهم سجداً وقياماً } الفرقان : ٦٤.

أخي .. أختي لتعلما أن هذه الصفات هي صفات المؤمنين المحبين لربهم .

أما أصحاب نوم الليالي والكسالى عن صلاة الفجر جيف الليل حمير النهار فهؤلاء وصفهم القرآن بالنفاق قال تعالى { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولايذكرون الله إلا قليلاً } النساء :١٤٢

قال صلى الله عليه وسلم : « إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون مافيهما لأتوهما ولو حبواً ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمر رجلاً فيصلي بالناس ، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لايشهدون الصلاة فاحرق عليهم بيوتهم بالنار » رواه البخاري ومسلم .

فإلى أي الفريقين تريد أن تنضم ومع أيهم تريد أن تحشر .. هما فريقان لاثالث لهما ليسوا سواء في العمل وليسوا سواء في الجزاء

قال تعالى : { أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لايستوون . أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوي نزلاً بما كانوا يعملون . وأما الذين فسقوا فمأواهم الناو كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون. ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون } السجدة : ١٨-٢٠ .

تنبه أخي لهذا فإنه موعظة لك فإن لم تتذكر وتعود إلى ربك وتحافظ على صلاتك وتتقرب إليه بذلك فاحذر أن تكون ممن قال الله فيه { ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون } السجدة : ٢١ .

وصف الله أصحاب قيام الليل في مواضع متعددة تنويهاً بعظم عملهم ، ودلالة على أن قيام الليل من أعظم القرب إلى الله سبحانه عز وجل ، وكان أول الموصوفين بهذا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : { إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك } المزمل : ٢٠

فلنا في هؤلاء أسوة حسنة { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } الاحزاب: ٢١

ولأجل أن تحب قيام الليل وترغب في ادائه والمحافظة عليه ، عليك أن تبحث في فضله ومنزلته من الله . ولأجل أن لاتتكلف البحث فقد جمعت لك عدداً من الاحاديث الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل قيام الليل وذلك مثلاً لاحصراً :

١- عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن من الليل ساعة لايوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة » أخرجه مسلم .

٢- وعنه رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت » رواه مسلم .

والقنوت : القيام .

٣- عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : نعم الرجل عبد

الله لو كان يصلي من الليل » قال سلام فكان عبد الله بعد ذلك لاينام من الليل إلا قيلاً » متفق عليه .

٤- عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أيها الناس أفشوا السلام ، واطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » رواه مسلم .

٦- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داود وأحب الصيام إلى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام ثلثه ويصوم يوماً ويفطر يوماً » متفق عليه .

٧- عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من مشى في ظلمة الليل لقى الله عز وجل بنور يوم القيامة » رواه

الطبراني بإسناد حسن وابن حبان في صحيحه .

وعليك أن تنظر في عقوبة تارك حضور الجماعة وصلاة الفجر وكيف رَهَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ليجل قلبك وتخاف من التفريط ، وقد جمعت بعض الأحاديث المفيدة في ذلك منها :

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد هممت أن آمر فتيتي فيجمعوا لي حُزماً من حطب ، ثم آتى قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة ، فأحرقها عليهم » رواه مسلم .

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذراً ، قالوا ومالعذر ؟ قال : خوف أو مرض - لم تقبل منه صلاته التي صلى» رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه .

٣- وفي حديث لابن مسعود مرفوعاً قوله « ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ،

ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم » رواه مسلم .

فاحذر ياعبد الله أن يلحق بك هذا العقاب وتبوء بالإثم والضلال فإن الخير كل الخير في متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والشر كل الشر في مخالفة أمره { فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم } النور : ٦٣ .

إن العالم بفضل قيام الليل وعقوبة تارك صلاة الجماعة لايستوي مع من لايعلم ، لأن من يعلم يكون في قلبه إيمان وحب لله ولرسوله يعمل بعلمه رجاء ما عند الله وحذر الآخرة وجزاءها .

{ أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه . قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب } الزمر : ٩ .

فلتكن من أولي الألباب الذين يتذكرون فإن هذه الآيات والأحاديث في قيام الليل ذكرى لنا ،فهل نكون من أولى الألباب .

فصل فيما يعود على المسلم من قيام الليل

في الدنيا والآخرة

ذكرت الدنيا قبل الآخرة لأن الدنيا جزاؤها ولذتها قريبة ملموسة نعيشها الآن وهذه الدار زمناً تقدم على الآخرة ، وإلا فإن عظم جزاء الآخرة وخلودها أدعى للتقديم ، ولكن لعل التأخير يكون أقوى ليبقى في الذهن الجزاء والثواب الأخروي .

مايعود على المسلم من قيامه في الدنيا .

١- القيام ينهي صاحبه عن الذنوب والمعاصي وفعل المنكرات ودليل ذلك قوله تعالى : { إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر } العنكبوت : ٤٥ .

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن فلاناً يصلي الليل فإذا أصبح سرق ، فقال : سينهاه مايعمل » اخرجه ابن حبان .

والصلاة مطلقاً تنهى عن الفحشاء ، ولكن قيام الليل له ميزة في نهي صاحبه لأنه حين يقوم يناجي ربه تعرض له أعماله فيخاف

أن لايقبل منه بسببها فيترك مايعمل من المعاصي .

٢- أنه يطرد الداء عن الجسد ، وأول داء يطرده داء العجز والكسل ، قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، فإن في قيام الليل قربة إلي الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الإثم » أخرجه الترمذي والبيهقي ، وقال العراقي اسناده حسن .

٣- في قيام الليل يحصل العبد على كل خير لدنياه فإن في الليل ساعة لايوافقها عبد يسأل الله تعالى خيراً من أمر دنياه وآخرته إلا أعطاه إياه .

فانظروا ياعباد الله كم في قيام الليل من مصالح دنياكم بل فيه مصالح دنياكم كلها ، لأنك ياعبد الله لاتعلم ماسينفعك من دنياك مما سيضرك فكم تجارة تساهم فيها وتتحسر عندما تخسرها ، وكم من بيت تبنيه ويخرب ، وكم من تعب في مذاكرة لامتحان ترسب فيه ، أو يلغى ، وكم من زوجة تدفع مهرها وتمني نفسك بها ، لاتوفق فيها .. وهكذا حال دنياك ..

فلو سألت الله في ساعة الاستجابة التوفيق في أمورك كلها .

وقمت بين يدي ربك قبل أن تقدم على عملك سائلاً إياه أن لايضيع تعبك وأن يوفقك لما يرضيك ، لما ندمت ابداً ، حينئذ تطمئن إلى أن مالك الدنيا المعطي الباسط وليُّك وكافيك وحسبك ، فكيف تحزن أو كيف تقلق وإياه دعوت وعليه توكلت . فهو مجرى السحاب ومذلل الصعاب ومدبر الكون ومقسم الأرزاق .

فيا عزباً تريد الزواج ، قم فاسأل ربك زوجة صالحة تسعدك

ويامريضاً قم فاسأل ربك شفاءً من مرضك .

ويامتاجراً قم واسأل ربك أن يربحك ، وهل يستغني أحد عن الله ومن يستغني يستغن الله عنه ، والله الغني ونحن الفقراء إليه .

أيعلم عبد أن الله هو الغني ويوقن بذلك ثم يزهد فيما عنده !! لا والله ابداً .

٤- قيام الليل يورث صاحبه لذة في القلب . وقد حكى ذلك كثير من السلف .

قال ابن المنكدر : مابقى من لذات الدنيا إلا ثلاث : قيام الليل ولقاء الإخوان والصلاة في الجماعة [1] .

وقال أبو سليمان رحمه الله : أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا [2] .

وقال آخر : « لو يعلم الملوك مانحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف » .

وقال آخر : « إن لي ورداً بالليل لو تركته لخارت قواى »

قال الغزالي رحمه الله في بيان مايعود على قائم الليل من اللذة

« وأما النقل فيشهد له أحوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ماراعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وماتأملته بعد . وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني إلى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر . وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته إذا جاء وأغنم بفجره

(١ . ٢) إحياء علوم الدين ١/٣٥٨ .

إذا طلع ماتم فرحي به قط . وقال علي بن بكار منذ أربعين سنة ماأحزنني شيء سوى طلوع الفجر ، وقال الفضيل بن عياض إذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي ، وإذا طلعت حزنت لدخول الناس علي ، وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ماأحببت البقاء في الدنيا »[1]

٥- صاحب قيام الليل يصبح طيب النفس نشيطاً يعان على عمله سائر يومه .

قال صلى الله عليه وسيلم « يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » متفق عليه .

وصدق الصادق المصدوق ، فترى أصحاب القيام لايبدو عليهم الكسل بل يبدون ذووا نشاط وحيوية بينما ترى أصحاب النوم إلى

---

(١) إحياء علوم الدين ٣٥٨/١ .

الصباح ، وقد تورمت أعينهم من النوم لايكادون يمدون أيديهم أو يثنون أرجلهم إلا شعروا بالكسل والتعب ، وماذاك النشاط لصاحب القيام إلا عوناً من الله تعالى لمناجاته وتقربه إليه حتى أصبح بصره وسمعه ويده ورجله . . قوة يمنحها الله له لايجدها إلا هو .

لذا فلاعجب إذا قرأت عن الصحابة وتبعهم من السلف الصالح الذي يبيتون لربهم سجداً وقياماً ، وإذا أصبحوا كانوا فرساناً يخوضون غمار المعارك ويركبون الصعاب لايغلبهم أحد من أصحاب النوم الطويل والرقاد المريح .

٧- صلاح الأبناء من نتائج قيام الآباء في الليالي الباردة ، فإذا قام العبد يصلي يسأل الله أن يصلح له في ذريته ويحفظهم ، فإن الله يعطيه ماسأل ، ويصلحهم ويعافيهم ويحفظهم حتى بعد مماته ، قال تعالى : { وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة ، وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك ومافعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً } الكهف : ٨٢ .

نعم .. رحمهما الله برحمة أبيهما الذي كان يسأل الله لهما -طوال حياته- الحفظ والصلاح .

٨- أصحاب القيام والتهجد رغم أنهم أقل نوماً من غيرهم إلا أنهم يكتسبون نوراً في وجوههم سائر يومهم وعند موتهم . وقد حكى كثيراً عن السلف انهم يجدون النور في وجوه صاحب القيام في حياته وعند مماته .

قيل للحسن رحمه الله : مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً ؟ قال لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم نوراً من نوره .

٩- سعة الرزق سمة أصحاب القيام ، يرزقهم الله من حيث لايحتسبون ، ذلك لأنهم صبروا على قيام الليل واحتسبوه واتقوا الله سبحانه وتعالى ، وقد وعد من اتقاه واحتسب عنده الأجر أن يرزقه من حيث لايحتسب ولايشعر ويجعل له مخرجاً من الضيق الذي يلم به قال تعالى { ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً } الطلاق : ٢ ، ٣ .

١٠- أصحاب القيام مجابي الدعوة إذا استنصروا الله نصرهم وإذا استعاذوه أعاذهم . لأنهم تقربوا إلى الله بالفرائض والنوافل وأحبُ النوافل إلى الله قيام الله ، وقد وعد من تقرب إليه بالنصر والعوذ .

وهذا ليس كل مايناله أصحاب القيام من خير الدنيا بل جزء منه وماعند الله خير ، ولكني ذكرته ليستحضره المؤمن حين يغالبه الشيطان ويكسله ويأمره بالنوم والتفريط في القيام ، فإن استحضاره آنذاك منفعة عظيمة مجدية لمن كان له قلب أو ألقى السمع هو شهيد .

أما مايناله أصحاب القيام في الآخرة فأعظم وأعظم بل لايساوي مانالو في الدنيا شيئاً بجانبه ، ومما يناله القائم في الآخرة .

١- رضا الله سبحانه وتعالى . فإن الله يضحك للعبد يترك فراشه الوثير وزوجه الحسناء يقوم يصلي وقد ورد ذلك في الحديث. وضحكه دليل رضاه جعلنا الله وإياك ممن تقر أعينهم برؤية ربهم ورضاه وضحكه .

٢- جنة المأوي التي لايعلم ماأخفي له فيها مما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر . ذلك هو النعيم الحق الذي ينتظره قالي تعالى : { تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } السجدة : ١٨ .

وهل أعظم من هذا شيء ؟ !

أي لذة تحصل عليها ساعة من الليل تنام فيها عن القيام لربك حين ينزل إلى السماء الدنيا ..

أي لذة هذه تستحق بأن تضيع بها لذة النعيم والخلد في دار المقامة .. الدار التي من دخلها نَعِم ، فلم يبأس ، وفرح فلم يحزن، وسعد فلم يشقى ورضي فلم يسخط { ألا خوف عليهم ولا يحزنون } آل عمران : ١٧٠ .

{ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون . لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون }

الانبياء : ١٠٣ ٠

إنك أخي لو قرأت شيئاً عن نعيم الجنة الذي يفوق الوصف لطار قلبك ترجو أن تكون من أهله فلم لاتكون من أهله ؟! ما الذي يمنعك؟! ٠

إنه الشيطان الذي توعدك ٠٠ حسداً لتكون معه من الأسفلين فشمر عن ساعد الجد بعدادته ، وإياك أن تستجيب له أو تقبل إغراء فتترك القيام فتكون من الغارمين ٠

٣- رحمة الله تعالى للعبد الذي يقوم من الليل يصلي ٠٠ قال صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وايقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » رواه أبو داود بإسناد صحيح ٠

فهذا الحديث يدل على تساوي الرجل والمرأة في العبادة أداء لحق الله وتساويهما في الجزاء استحقاقاً لرحمة الله ٠

٤- من يصلي ركعتين يكتب في الذاكرين الله كثيراً ٠

فانظر يرعاك الله عظم القيام ، حيث صلاة ركعتين في جوف الليل تلحق صاحبها بالذاكرين الله كثيراً ، فما ظنك بمن صلى أكثر من ذلك ٠

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا - أو صلى - ركعتين جميعا ، كتبا في الذاكرين والذاكرات » رواه أبو داود بإسناد صحيح ٠

٥- الهم بالصلاة والقيام ، والعزم عليه ، وبذل الأسباب له موجب للأجر والثواب ولو لم يقم صاحبه ، بل ونومه عليه صدقة ٠

قال صلى الله عليه وسلم : « مامن امرىء تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته ، وكان نومه صدقة عليه»

٦- نيل مايرجوه العبد في الآخرة من المغفرة والرحمة والنعيم والخلد وكل ماسأل لأن في الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه ٠ كما ورد ذلك في

الحديث الصحيح .

« إن من الليل ساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه » وفي رواية « يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والاخرة وذلك في كل ليلة » رواه مسلم .

٧- قائم الليل يشهد نزول الله إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الأخير حيث ينزل إلى السماء الدنيا فيسأل سبحانه - هل من سائل فأعطيه ؟ هل من مستغفر فاغفر له .

وهناك الفوز في دار الخلد حيث يجد العبد ماسأله في جوف الليل من المغفرة والرحمة .

٨- حين يجد أصحاب النوم والتفريط الضنك والضيق في قبورهم يجد صاحب الليل والتهجد والقرآن السعة والراحة والسرور في قبره . فإنه يجيء إليه عمله الصالح في أحسن صورة يجالسه ويؤانسه ويجد ماكان يقرأه من قرآن أنساً ونعيماً في قبره .

هذه بعض عوائد وفوائد قيام الليل ، إذا استحضرها العبد قبل نومه عزم على القيام ، وإن استحضرها عند افاقته نشط عليه .

فصل في الأسباب المعينة على قيام الليل

إن الله تعالى جعل لكل شيء سبباً ، وقيام الليل له أسباب تعين عليه فمن أراد أن يقوم فلابد أن يأخذ بالأسباب التي تعينه وتمكنه من القيام بعون الله .

وسأذكر في هذه الرسالة جملة من الأسباب بالدليل والبرهان قدر ماastطيع ، وأسأل الله أن ينفع به من سمعه وقرأه .

١- الاستعانة بالله تعالى :

كما أن جميع الأمور من عبادات وأخلاق وأمورمعاش تتطلب الاستعانة بالله سبحانه ، فإن قيام الليل من ألزمها ، وذلك أن صاحبه ومريده يهم به وهو مستيقظ فإذا نام تمكن منه الشيطان وعقد على قافيته بثلاث عقد ، فإذا كان العبد مستعيناً بالله ، كان الله له عوناً على عدوه ابليس فلايجعل له سلطاناً عليه مادام على ربه متوكلاً وبه مستعيناً ، قال تعالي : { إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون } النحل : ٩٩ .

وإن العبد ليستعين بالله عدة مرات في اليوم والليلة حينما يقرأ الفاتحة ويقول إياك نعبد وإياك نستعين ، فعليك أن تستحضر طلب الاستعانة حين تقرأ هذه الآية ولاسيما في أول القيام فإنه شاق إلا على من استعان بالله .

٢- تصحيح العقيدة والنظر في سلامتها ، فعلى مريد القيام أن ينظر في مدى إيمانه بالله سبحانه وينظر في هذا الإيمان هل اكتملت جوانبه وأركانه حقاً حقاً ، وصدقاً صدقاً ، فلايكون الأمر مجرد كلام وتلفظ باللسان وإنما يقر في القلب ، فيكون بالله معلقاً قلبه ، يعيش دنياه لآخرته ، يؤمن برسل الله ويصدق ماجاؤا به فلاينكر أحداً منهم أو معجزة من معجزاتهم ، ويؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبه ويحب ماجاء به ، يحبه اتباعاً لاهوساً شعراً ونثراً وعشقاً !! فإن أصحاب المحبة الصادقة هم أهل العمل والمتابعة والاقتداء ، وليسوا أهل البدع والمخالفة والأهواء .

وينظر في إيمانه بالملائكة ، هل يستحضر رقابتهم له ويتذكر أن عليه ملكان مكلفان به يكتبان حسناته وسيئاته ، فلا ينطق بغير

رضى الله وذكره ، وإذا نطق بغير ذلك تذكر واستغفر . يؤمن بالملائكة جميعاً وخلقهم وصفتهم كما أخبر الله عنهم ، ولاينكر مما دل عليه الشرع شيئاً فمثلاً يؤمن بأن الذي يتوفى الانفس بإذن ربه الملك . ملك الموت الموكل بها ، فإذا وضع جنبه واستشعر أن الملك يقبض روحه وقد لاترجع ، واستحضركم من عبد نام فلم يستيقظ وجل قلبه وارتعدت اطرافه ، ووجد هماً يبعثه على الاهتمام بطاعة ربه والمسارعة للعمل له والقيام لملاقاته ومناجاته ورجاء ثوابه .

يؤمن باليوم الآخر فيرجو الجنة ويحذر الآخرة وعقابها وهذا الإيمان من أعظم الدوافع على قيام الليل . قال تعالى : { أمن هو قانت أناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه } الزمر :٩

يؤمن بالقدر خيره وشره فلايجزع لما فاته ولا لما أصابه ، ولايسب قدر الله أو يعترض عليه أويشكوه ، فإنما يسب ربه ويشكر ربه وهل قدر عليه إلا الله .

وكل هذا الإيمان يكون نابعاً من إيمانه بكتاب ربه ، وماجاء فيه من الخير والأمر . فإذا قام يصلي وقرأ القرآن ، وكان على يقين

وإيمان بأنه كلام ربه واستحضر أن الله يحادثه ويكلمه ، خشع له واقشعر له جلده ، قال تعالى : { الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله } الزمر : ٢٣ .

٣- محبة الله والتعلق به سبحانه لأن من أحب أحداً حرص على لقائه وحديثه والاستماع إليه ، فلا يشكو إلا له ، ولايأنس إلا بحديثه فإذا تحدث غيره لم يزد بحديث ربه إلا حباً وتعلقاً وشوقاً .

بالله عليك ياأخي أليس لك أحد تحبه وتحب مجلسه وحديثه .. تجده قريباً إلى قلبك .. سل نفسك إلى أي مدى تحرص على لقائه وإلى أي مدى تحترم موعده لك .. هب أنه غاب عنك ووعدك لقاء بعد حين .. ألست تنتظر حين موعده وتذكره وتهيء نفسك لاستقباله .. ولو طلب منك أحد سواه أن تأتيه في هذا الوقت اعتذرت إليه ولم تجب دعوته .. بل قد تُحرّص أهلك أن يذكروك أو يوقظوك إن كان وقت نوم ، لحرصك على أن لاتفوّت لحظة لقائه.

سل نفسك ياأخي ..

من هذا الذي تحرص عليه هذا الحرص ؟ !

أهو يرزقك !؟ أهو يشفيك ؟! أهو يؤمنك من فزعك ؟! أهو سبب وجودك وخالقك ؟ أهو أبدعك وسواك وعدلك وفي أحسن صورة ركبك ؟! أهو وعدك أن ماسألته أعطاك ؟! .. لا والله لايفعل ذلك لك ، وماله من ذلك من شيء بل هو مخلوق مثلك ، يحتاج إلى ماتحتاج إليه .

بل لعلك إن وعدك الليل فكرت في لقائه النهار وان وعدك النهاك فكرت في لقائه الليل .... هذا وإذا كان لك حبيباً وقريباً ويزيد حرصك وينقص بحسب محبتك له وقربه منك ..

وعلى هذا فإن من يحب الله يحرص على لقائه ، وعلى مقدار مايكُن العبد من محبة لربه ، ومايقر في قلبه من حب الله ، يكونُ حبه للقائه وشوقه لموعد نزوله .. وأنسه بحديثه ..

وكل واحد يختلف عن الاخر في حرصه على لقاء الله فمنهم من يقوم له ثلث الليل ، ومنهم من يقوم ربعه ، ومنهم من يقوم ساعة ، ومنهم من يقوم نصفها وربعها وعشرها ، وهؤلاء يختلفون في

محبتهم لله كل بحسب عمله ·

وكيف يثبت العبد محبته له ويدعي ذلك وهو عن لقائه غافل ولمناجاته قالٍ ، ولكلامه هاجر · ·

فالكل عند الادعاء يدعي محبة الله · · ولكن عند الجزاء لايقرُّ الله لمدعي محبته،وإنما يقر لأهل طاعته ورضاه ، جعلنا الله منهم·

وسأضرب لك أخي مثالاً يقرب ماأقول ويثبته :

سافرت إلى بلد غير بلدك ولك في بلدك أهل وأقارب وأصدقاء وأخبرتهم بيوم عودتك ، وأنك تنتظر منهم لقياهم لك ·

فلما قدمت في موعدك وجدت أحدهم ينتظرك عند الطائرة بذل كل مايستطيع حتى سمح له بالدخول لذلك المكان ، ووجدت آخر ينتظرك في صالة الانتظار قدم قبل موعدك بساعة · · وآخر وصل للتو · ورابع انتظرك في بيتك ، وخامس جاءك بعد وصولك وسادس جاءك بعد مضي يوم من وصولك · · وسابع لقيته في السوق فسلم عليك وحياك وادعى الشوق إليك والانتظار لقدومك·

ألست تصنف محبة هؤلاء بحسب اقدامهم عليك ؟! وهل تصدق ذاك الذي لقيته في السوق لو ادعى أنه يحبك أكثر ممن استقبلك عند الطائرة ؟!

لاأظنك تصدق . .

إذن فمن ينام الليل ملء جفنيه ثم يدعي أنه يحب الله أكثر ممن يهجر فراشه وراحته إلى لقاء ربه ومناجاته .

إن من يكون هذا حاله لايمكن أن يكون يحب ربه أكثر ، والله سبحانه وتعالى أعلم بأهل محبته .

٤- محبة الرسول الصادقة والحرص على متابعته والاقتداء به ورجاء الله بذلك { لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } الأحزاب : ٢١ .

٥- الابتعاد عن المعاصي والذنوب والإقبال على الطاعات سائر اليوم يسهل قيام اليل لأن من حفظ الله في يقظته حفظه الله في منامه .

٦- إلزام النفس الهم بالقيام وهذا الهم لايتأتى إلا بصدق الطلب والحرص ، سئل الإمام المحاسبي رحمه الله عن الديل على أن الهم يوقظ صاحبه فقال : « الدليل على ذلك أن العبد قد ينام الليالي الكثيرة ، فلايستيقظ إلا بقرب وقت صلاة الفجر أو بعده ، حتى إذا عرضت له حاجة من حوائج الدنيا يهتم بأن ينالها ، ويحذر أن تفوته إن لم يدلج لها ، فإذا نام مهتماً بالقيام وقد ألزم قلبه الحذر من أن يذهب به النوم فيفوته البكور تيقظ في الليل مراراً لغير الوقت الذي ينتبه له ، يحركه الاهتمام والحذرُ اللذان نام وهما في قلبه فإذا كان الاهتمام والحذر لأمر الدنيا يوقظان عقله ، وينبهانه بعد مانام وذهب عقله ، فهما أولى أن يوقظاه لأمر الآخرة وهو يقظان لم ينم ولم يذهب عقله بنوم .

وشتان بين المطلوبين هذا يطلب قليلاً مكدراً بالغموم والأمراض والاسقام ، ومن بعده يختم له بالموت ، ومن بعد الموت ينظر فيه بعد ماذهبت لذته ومنفعته ، وبقى السؤال بين يدي الله تعالى عنه ، حتى يُسأل عنه : ماذا صنع فيه ؟ ثم العفوُ أو العذاب عليه ، ومع

هذه الأسباب المكدرة في الدنيا والآخرة لن ينال من ذلك إلا ماقدر له ، وهذا ويهتم لطلب باقٍ كثير لايفني ، مع نعيم مقيم وعيش سليم قد أُزيلت عنه الأمراضُ والأسقامُ ، ورُفعت عنه الهمومُ والغمومُ والأحزان ، ولايختتم بموت أبداً ولاحساب ولاتبعة فيه عليه ، والمولى راض عنه ، وهو مسرور بما يتقلب فيه من نعيم الاخرة ، باقٍ فيه أبداً ، ولايشاء شيئاً إلا بلغت فيه مشيئته ، في حياة ليس فيها موت ، ونعيم لايخاف فيه أبداً له بالفوت ، مجاورٌ لذلك القدوس الأعلى في داره ، لايحاف سخطه بعد رضاه ، ثم مارضى له بذلك حتى أكمل ذلك له بغاية الكرامة ، وقربه إليه في الزيارة ، وأنجز له ماوعده من الرؤية والنظر إلى وجهه الكريم عز وجل ، إذ يقول جل من قائل : { إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر } ٠

فأعظم به من مجلس ، وأكرم به من زائر ومزور ، وناظر ومنظور إليه ، ومقبل ومقبَل عليه ، مترددٍ فيما بين نعيمه ولذاته ، والنظر إلى وجهه جل وعزّ ، فشتان مابين الهمتين ، وشتان بين الغايتين ٠

فإذا كان هذا النائم يوقظه اهتمامُه لهذا الفاني المنقض الكدر بعد ذهاب عقله ، فالهم للباقي الهنيء السليم ، الحذر من فوته مع الحلول في العذاب الأليم أولى أن يتيقظ له العقل ، ولم يذهب بنوم فإذا اهتم وحذر تيقظ [1] .

٧- التيقن من القيام والقدرة عليه وعلى الوتر بعد النوم وذلك افضل لقوله تعالى : { إن ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً } المزمل .

قال بعض المفسرين :

« إن ناشئة الليل » أي ساعات الليل وأوقاته التي فيها التفرغ والصفاء ، وماينشئه المرء من طاعة وعبادة يقوم لها من مضجعه بعد هدأة من الليل « هي أشد وطأ » أي هي أشد على المصلي وأثقل من صلاة النهار ، لأن الليل جعل للنوم والراحة ، فقيامه على النفس أشد وأثقل ، ومن شأن هذه الممارسة الصعبة أن تقوي النفوس ، وتشد العزائم ، وتصلب الأبدان [2] .

---

(١) الرعاية لحقوق الله ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٢) صفوة التفاسير ٣ / ٤٦٦ .

وصلاة الليل شهوده وذلك أفضل . فإن لم يتيقن العبد من القدرة على القيام فإنه يشرع له أن يصلي قبل أن ينام .

عن جابر رضي الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خاف أن لايقوم من آخر الليل ، فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة آخر الليل مشهودة وذلك أفضل » رواه مسلم .

وماذاك إلا لأن من لم يتيقن القيام وفاته الوتر ليلته كلها فإنه خير كثير ، ومن ثم يتكرر هذا مرات حتى يسهل عليه التفويت والتضييع لأن المرء حين يقصر لأول مرة يجد في قلبه غم وهم ، فإن عاد مرة أخرى خف هذا الهم والاغتمام فإذا تكرر نقص ونقص حتى ذهب فلا يحزن لفوات القيام فيحرم القيام كله .

٨- القيلولة بالنهار تعين على قيام الليل لأن من نام بعد العشاء الآخرة لم ينشط إلا بعد أن يأخذ جسده راحته ويستوفي قدره من النوم فإذا كان قد قَالَ في الظهر نشط على القيام في الليل .

٩- سلامة القلب للمسلمين فلايحقد على أحد بل يبيت وهو لايحمل على أحد ضغينة ولاوزراً ، فإذا وجد في نفسه من ذلك شيء أجلهم قبل أن ينام وجعل ذلك صدقة عليهم ، فإذا تصدق بمظلمته على المسلمين تصدق الله عليه ورحمه وبعثه ليحصل خيراً مما تصدق به ٠

١٠- الإعراض عن فضول الدنيا ، فإن التعلق بالدنيا والنوم مع التفكير فيها يبعد التفكير في الآخرة ، فلايجتمع ضدان ، بل ويزيل الحذر والاهتمام الذي ذكرته في الأسباب السابقة ٠

١١- أن يسعى إلي وضعماينبهه كتوقيت الساعة المنبهة أو تكليف أحد أهله أو جيرانه أو اصدقائه بإيقاظه ٠

فإذا كان ممن لايشعر بتصرفاته وهو نائم فليبعد منبهه ويجعل بينه وبينه حائلاً فلا يستطيع اغلاقه إلا ببذل جهد ، كوضعه على نافذة مرتفعة أو خزينة ملابس عالية فلايتمكن من الوصول إليها إلا بالصعود على كرسي ونحوه وهذا بلا ريب لايضطر إليه إلا من تكرر منه إغلاق المنبه والنوم مرة ومرات ٠

١٢- أن ينام على وضوء وذكر فمن توضا أو نام طاهراً بات تحرسه الملائكة وتدعو له وتستغفر ، ويحسن به أن يسأل الله قبل نومه أن يوقظه للصلاة ·

١٣- ألا ينام على فراش وثير بل يكتفي باليسير وذلك ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام وقد ثنى فراشه أربع ثنيات وكان يثني اثنتين فلما أصبح وقد فاته القيام سأل ماذا صنعتم به فلما أخبروه قال : ردوه كما كان ·

١٤- أن يحرص على النوم أول الليل فإن في ذلك عون كبير على قيام آخر الليل ، أما من ينام نصف الليل أو بعد ذلك فإنه يشق عليه القيام لأنه لم يستوف راحة جسده وحقه من النوم ، وحق المرء من النوم في اليوم والليلة ثمان ساعات دل على ذلك حديث وصف صلاة داود عليه السلام · فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أحب الصلاة إلى الله صلاة داوود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً

ويفطر يوماً » متفق عليه .

ولو جمعنا السدس إلى النصف لكان ثلثين والثلثان ثماني ساعات إذا كان الليل اثنى عشرة ساعة ، ولما كان المؤمن يتأخر عن النوم في أول الليل لأداء صلاة العشاء كانت القيلولة عوضاً له عما ينقصه من النوم ليتم له ثماني ساعات أو قريباً منها فإذا جاء ثلث الليل الآخر إذا هو يقظ نشيط .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَقيلُ ، وينام أول الليل وقد ثبت ذلك عنه روت عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلي » متفق عليه .

١٥- شدة الخوف من الله سبحانه وتعالى واستحضار غضبه على من فرط في لقائه ومن تهاون في صلاة الفجر ، وهذا الخوف يتأتى بالعلم بأحاديث الوعيد الذي يكسب القلب خشية الله وهذا سبب من الأسباب التي كانت تدفع السلف الصالح للقيام لله سبحانه وتعالى .

إذا ماالليل أظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدينا هجوع

وهذا الخوف إذا قرن بقصر الأمل كان عوناً للعبد على ذكر القيام ومداومته ·

١٦- استحضار العبد شهود الله لصلاته وحضوره إياها وسماعه لتلاوته واستجابته لدعائه وقبول توبته واستغفاره ، فإن الله سبحانه ينزل ثلث الليل الأخير إلى السماء الدنيا ، فيعطي من سأل ويجيب من دعا ويغفر لمن استغفر وقد ثبت ذلك في الحديث الذي يرويه أبو هريره رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فاستجيب له ، من ذا الذي يسألني فاعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له » أخرجه مسلم ·

١٧- أن يتعاون مع أحد أهل بيته على القيام لأن الشيطان أغلب على الواحد منه على الاثنين ، والتعاون أدعى للتنافس ، وأدوم للعمل لاسيما إذا كان التعاون بين الزوج وزوجته ، قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وايقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وايقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء » .

١٨- العزيمة على من تكلفه بايقاظك أن لايتركك حتى تستيقظ ويتأكد من استيقاظك ، ولو دعاه ذلك إلى نضح الماء في وجهك لما في ذلك من طرد الشيطان وحضور العقل . وعليك أن لاتغضب إن فعل ذلك - حتى لاتفتر عزيمته على إيقاظك ، فإنك لو تعلم مقدار ماأيقظك صاحبك له لقبلت رأسه أن ايقظك ولو اراق عليك الماء .

ولعلي أضرب مثلا - يقرب المعنى للقلوب - بأصحاب ناموا في بيت ملك وعدهم وعداً - وهو منجز وعده لهم - أن يعطيهم مسألتهم ويسمع شكواهم فيُشكيهم ويأخذ حقهم ممن ظلمهم ، ويصفح عن حقوقه التي قصروا فيها باعتذارهم منه ، فلما أدركهم التعب وكان موعد الملك متأخراً ناموا وأمروا من يستيقظ منهم أن يوقظهم ،فلما قرب موعد الملك وجاء ينظر من بمجلسه ، إذا هذا

المستيقظ يوقظ أصحابه فلما غلبهم النوم تركهم،خشية أن ينغص عليهم نومهم فلما ذهب الملك وفات الموعد وأخذ كل حاضر نصيبه ذهبوا يعاتبون هذا الذي لم يوقظهم وقصر في الإلحاح عليهم ، ولو كان أراق عليهم الماء ، وهم مدركون لما له سيقومون وماسينالهم من النصيب الوافر لما تضايقوا ولا عاتبوه ، وإنما عاتبوه لتقصيره .

وهكذا الحريص على قيام الليل يعزم على صاحبه أو أهله أن يوقظوه ولو كان ذلك مزعجاً له ، ولو فرطوا في إيقاظه لعاتبهم على ذلك .

١٩- الحرص على قضاء القيام والورد إذا فات من الليل لأن من علم أنه يقضيه في النهار ، وقد يكون مشغولاً بطلب رزقه أو دراسته أو وظيفته فلايستطيع قضاءه ؛ من علم ذلك وكان حقاً حريصاً على القيام لم يفوت القيام إلا مكرهاً ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ترك القيام بقوله لعبد الله بن عمرو «ياعبد الله لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم ترك القيام »

وقضاء القيام ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن

لم يكن يقضيه وتراً ، وإنما يقضية شفعاً . جاء ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فاتته الصلاة من وجع أو غيره صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة» رواه مسلم .

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر يحرص على قضاء القيام إذا غلبه الوجع أو النوم . ومن يفعل ذلك ينال نصيب القائم لأن من نام عن حزبه أو نسيه فصلاه مابين طلوع الشمس إلى الزوال فكأنما صلاه من الليل كما ورد ذلك عنه صلى الله عليه وسلم .

٢٠- أن يذكر الله أول مايدركه وعيه ويعقل يقظته ، ويلزم نفسه بذلك قبل النوم ويستحضر ، أنه إن لم يفعل فإن عدوه يتربص له بالكيد بل قد أعد الحبل ليوثقه به ويعقد عليه ثلاث عقد ، فإذا أراد العبد حل العقد سارع الشيطان لعقدها مرة أخرى ، وهذه العقد تحل بإذن الله ، ولكن لكي عقده حل .

فالعقدة الأولى   حلها بذكر الله

والعقدة الثانية حلها بالوضوء

والعقدة الثالثة حلها بالصلاة

والشيطان ينتهز ويتحين الفرص ليعيد العقد مرة أخرى ، فإذا قام العبد وذكر الله وانحلت عقدة عاد الشيطان ليعقدها بقوله عليك ليل طويل فنم ، وقد تقول إذا كان الشيطان يعود ليعقد عليّ فكيف أحصن نفسي من عقده ؟!

إذا أردت أن تحصن نفسك من عقدة فعليك أن لاتعطي الشيطان فرصة لإعادة العقد وذلك بأن تستمر في ذكر الله وترفع به صوتك رفعاً ليس بالقوي وإنما تسمع نفسك ومن هو مستيقظ عندك ، وذلك هدي نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد ، أنت قيام السماوات والأرض ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ،

والجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ماقدمت وأخرت ، وماأسررت وأعلنت ، أنت إلهي ، لا إله إلا أنت » رواه البخاري ومسلم .

فلو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بهذا الدعاء لما سمعه عبد الله بن عباس وحدث به .

وانظر ياعبد الله في هذه الكلمات التي يبادر بها صلى الله عليه وسلم أول مايقوم ، إنها تجديد للإيمان بعد البعث من المنام ، وكأنها حياة جديدة تبدأها بالإيمان والاستسلام لله ، ومن هذا قوله ، وهذا حاله عند يقظته فانى للشيطان أن يجد إليه سبيلاً .

كما يمكن أن تقرأ شيئاً من القرآن عند يقظتك ويسن قراءة العشر الأواخر من سورة آل عمران ، ولكن عليك أن تقرأها جالساً لئلا يغلبك النوم .

عن عبد الله بن عباس أنه بات عند ميمونه زوج النبي صلى الله عليه وسلم - وهي خالته ، قال : فاضطجعت في عرض الوسادة ،

واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه [١]، ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة (آل عمران) ، ثم قام إلى شن [٢] معلقة ، فتوضأ منها فأحسن الوضوء ، ثم قام يصلي . قال عبد الله : فقمت ، فصنعت مثل ماصنع ثم ذهبت ، فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمني على رأسي فأخذ بأذني يفتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح » متفق عليه .

فرسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بصوت مسموع سمعه ابن عباس رضي الله عنه ، ولايجب لقرأتك الوضوء مادمت تقرأ من صدرك .

---

(١) يمكن أن يكون مسح الوجه بعد النوم من الأسباب المعينة على القيام فتدبر ذلك

(٢) الشن : القربة .

ثم تسارع إلى الوضوء لتحل العقدة الثانية ، وأنت عند وضوئك تستحضر أن الشيطان قد بال في اذنيك ومنخرك ، فتبالغ في المضمضة والاستنشاق ، والمبالغة فيهما ، لاسيما عند القيام من النوم مطردة للنوم مبغدة للشيطان .

وإياك أن ترجع إلى فراشك بعد الوضوء ، فإن الشيطان يريد أن يعيدك إلى قيده فيزين لك الفراش ويغريك ويوسوس لك تارة بالاسترخاء وتارة بالراحة .

٢١- السواك من أعظم مايذهب النوم ويعين على القيام ، فله فائدة عجيبة لاسيما قبل الوضوء ، فإذا استقعدت في فراشك فتناول سواكك الذي اعددته قبل النوم ، وليكن قريباً منك ، ثم استك به فإنه سنة نبيك ومطهرة لفمك ومرضاة لربك .

عن حذيفة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشوص[١] فاه بالسواك » أخرجه المروزي في قيام الليل .

٢٢- إن غلب عليك النوم فمارس بعض التمارين الرياضية

---

(١) يشوص : يدلك .

الخفيفة لتستعيد نشاطك ، وذلك كالمشي والحركة والقيام والجلوس بسرعة مرات متكررة .

٢٣- البدء بركعتين خفيفتين يذهب عنك النوم لأن البدء بركعتين طويلتين إذا كنتَ ناعساً قد يغلبك النوم أثناءها لقلة الحركة .

وذلك من هديه صلى الله عليه وسلم بدء القيام بركعتين خفيفتين وأمر بذلك لما فيه من فائدة تنشيط الجسم وطرد النوم ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين » رواه مسلم .

٢٤- الاكتحال قبل النوم من هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وله أثر في القيام بيد أن أكثر الناس عن هذا غافلون .

والاكتحال الإثمد يجلو البصر ويذهب الرمد ، والرمد يجعل المرء ميالاً لإغماض عينيه بعد النوم مما يكون مدعاة لغلبة النوم وقد ورد في الحديث « العين وكاء السه فإذا نامت العين استطلق الوكاء » والحديث وإن كان فيه ضعف فإنه صحيح المعنى وذلك معلوم بالتجربة .

٢٥- القراءة لسورتي الزمر والإسراء ثابت عن رسول الله فقد كان يقرأهما كل ليلة والنوم بعد القراءة يكون خفيفاً ويبات صاحبه على القرآن ويستيقظ عليه ، وإنه لمشاهد أن من نام على القرآن قام يقرأ ومن نام على الشعر قام يشعر ومن نام على الغناء قام يغني وهكذا .

فصل في الأسباب الصارفة عن القيام

كما أن هناك مايعين العبد على قيام الليل كما قدمت فلاريب أن هناك مايعوق القيام ويصرف صاحبه عنه ، ومن ذلك :

١- غفلة القلب عن الله وعن نعيمه وعقابه وعن رضاه وسخطه، فلايفكر العبد في دينه ولامولاه ولاأوامره ولانواهيه إنما لايعرف إلا آداء الصلاة كما يرى الناس يؤدونها ولايحرص على اليقظة لآداءها فإذا كان نائما لم يسع إلى اليقظة بل قد يأبى إذا ايقظ ، وهذا على خطر عظيم ، إذ كيف يفلح من هذه حاله ، وإنما هذا حال المنافقين والعياذ بالله ، وقد قال أحد الصحابة رضي الله عنهم : «ولقد رأيتنا ولايتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق » لما في القيام من المشقة التي لايتحملها إلا الصابرون المحتسبون للأجر الراغبون فيما عند الله .

٢- السهر والنوم المتأخر من أكبر العوائق عن القيام لأن العبد إذا لم يكتف جسده من النوم فإنه يصعب عليه القيام ويثقل نومه، ونحن الآن في هذا العصر كثر سهرنا فأصبحنا لاننام إلا بعد

منتصف الليل ، وليت هذا في خير أو طلب علم أو سهر على جهاد أو على الأقل في مباح بل أكثر سهرنا في اللهو واللعب ؛ فمن ساهر على الورق ، ومن ساهر عند التلفاز ، ومن ساهر على لغو وغيبة إلى غير ذلك . وهذا لو لم يكن به تضييع الفريضة فهو محرم ، فكيف وهو يعطل أدائك لفريضة صلاة الفجر ، بل إن المباح إن كان السهر عليه يعطلك عن آداء الفريضة صار محرماً . لذا كره النبي صلى الله عليه وسلم الحديث بعد صلاة العشاء .

فعن ابي برزة قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل صلاة العشاء والحديث بعدها إلا طلب العلم وحديث الرجل مع أهله (أي زوجه) والسفر . وهذه كلها مباحة أو مندوبة ولكن بشرط أن لاتضيع عليك صلاة الفجر في وقتها وإلا فهي محرمة والله أعلم .

وكان عمر بن الخطاب يضرب الناس بالدرة بعد صلاة العشاء ويقول أَسَمرٌ أول الليل ونوم آخره ؟! » أخرجه المروزي في قيام الليل

٣- التعب في النهار وإرهاق الجسد بالأعمال التي لافائدة منها

يجعل العبد لايستطيع القيام فكثير من الشباب يلعب الكرة في النهار عدة ساعات فإذا نام ، نام مرهقاً ، فإذا حضرته الصلاة لم يستطع القيام لتعبه ، وكذلك كثيرات من الشابات تتعب نفسها في كثير من الأمور التي لاطائل منها أو هي عنها في غنى ، فإذا وضعت جنبها لم تكد ترفعه إلا بعد طلوع الفجر لتعبها وإرهاقها كالتعب في الأسواق والإعداد للحفلات والولائم التي قد تذهب بنهارها كله وهي تستطيع أن تقلل من تعبها هذا ، فتعطي نفسها راحة تمكنها من القيام .

٤- كثرة الذنوب والإصرار على المعاصي ولو كانت صغاراً سبب في حرمان العبد من قيام الليل ، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ، وأي رزق أكبر من التوفيق للقيام لمناجاة الله ولقائه .

قال رجل للحسن : ياأبا سعيد إني معافي وأحُب قيام الليل وأعد طهوري فمالي لاأقوم ؟! فقال : ذنوبك قيدتك .

٥- كثرة اللغو بالنهار وقلة الذكر تقسي القلب فلايستطيع أن يذكر الله بعد يقظته فيغلب عليه الشيطان فينام .

٦- اتباع الهوى والابتداع في الدين يقلل القيام فعلى المؤمن إذا كـان في شِرَةٍ [١] وقـوة أن يعـمل مـتبعـاً السنة ولايبـتـدع ، فإن ممن تعلقـوا بالقـيـام ولم يهـتـدوا للسنة فـيـه من أثر عنه أنه كـان يصلي الليـل ولاينام أو من أثر عنه أنه يقـرأ القـرآن كله في قـيـام ليلة ، وهذا ابتداع وخلاف الهـدي النبوي ، بل إنه صلى الله عليـه وسلم : نهى عن ذلك وغـضب على من أراد أن يفعل ذلـك وقـال : من رغب عن سنتي فليس مني .

فـمـثـلاً مـاقـيـل عن وهب بن منبـه أنـه مـاوضـع جنبـه إلى الأرض ثلاثين سنة وكـان يقـول لئن أرى في بيـتي شـيـطان أحب إلى من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو إلى النوم .

وهذا ولله الحـمـد غـيـر ثابت عـنه فـهـو قـول ممرض (أي منقـول بقيل) ولو صح عنه ذلك فإنا لانقبله حتى لو كان وهب بن منبه من التابعين لأن هذا العمل خلاف السنة . بل إن رسولنا صلى الله عليه وسلم كان يضع جنبه على الأرض وينام ويتكىء على الوسادة ويكره

---

(١) الشرة : الحماس وهو ضد الفتور .

أن يكون الشيطان في بيته .

وإنك حين تقرأ في بعض الكتب التي تذكر تكلف بعض السلف في العبادة تجد منها الكثير من هذه المخالفات ككتاب حلية الأولياء لأبي نعيم ، وإحياء علوم الدين للغزالي وغيرها . مما لايكون مؤلفه متحرياً صحة السند أو صحة المتن .

وأنت يجب أن تكون بصيراً بدينك وأن تقبل من الأخبار عن السلف ماوافق السنة ، وماخالفها فلاتأخذ به ، ولاتغبطهم عليه فإنه بدع ورهبانية ، الإسلام منها براء ، وإنما انتشرت حينما تقلدها المتصوفة ودعوا إليها ووضعوا فيها الأحاديث والمناكير .

وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن المبالغة في العبادة مما يشق على النفس مالم يأمر به الله ، فعن أنس رضي الله عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ، وحبلٌ ممدودٌ بين ساريتين ، فقال : ماهذا ؟ قالوا : لزينب تُصلي ، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به . فقال : « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر قعد » رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا نعس أحدكم في الصلاة فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه » رواه البخاري ومسلم .

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم ك أن الحولاء بينت تويت بن حبيب بن أسد بن عبد العزى مرت بها وعندها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : هذه الحولاء بنت تويت ! ، وزعموا أنها لاتنام الليل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتنام اليل ؟! خذوا من العمل ماتطيقون ، فوالله لايسأم الله حتى تسأموا » رواه مسلم .

٧- التعلق بالدنيا ، والنوم وأنت تفكر فيها يقسي قلبك ويطيل أملك ، وتقوم من نومك على مانمت عليه ، فكيف تريد أن تقوم وأنت لاتستحضر الآخرة ولا العمل لها .

وسبحان الله إن من الملاحظ أن من نام يردد آية قام يرددها ومن نام يردد أغنية قام يرددها . وكذلك التعلق بأحد المخلوقين يجعل

المرء ينام وهو يفكر فيه ويقوم وهو يفكر فيه ومن هذا حاله فأنى له أن يتذكر ربه أو نعيمه وعذابه .

٨- أكل الحرام والخبيث يقسي القلب ويضرب عليه الاقفال ، فلايستيقظ صاحبه ، بل ويحرم الخير ، ومن أكبر الخير القيام للقاء الله ومناجاته .

٩- الإكثار من الأكل فإن الشبع يكثر النوم ويزيده .

قال أحد الشيوخ لطلابه : لاتأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتتحسروا عند الموت كثيراً . قال الغزالي رحمه الله : وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام .

١٠- النوم في الفراش الوثير فإنه يثقل صاحبه عن القيام . وقد مر الحديث عن هذا في الأسباب المعينة .

ونقل عن بعض السلف في سبب الحرمان من القيام آثار تنفع من أراد الاستفادة .

قال الثوري رحمه الله : حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب

أذنبته . قيل وماذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلاً يبكي فقلت في نفسي هذا مراء .

وقال بعضهم : دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت : أتاك نعي أهلك فقال أشد . فقلت وجع يؤلمك . قال : أشد . قلت : فماذاك . قال : بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرأ حزبي البارحة وماذاك إلا بذنب احدثتُه .

قال الغزالي رحمه الله : « وهذا لأنّ الخير يدعو للخير والشر يدعو للشر والقليل من كل واحد منها يجر إلى الكثير .

فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام ، وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلى الخير مالايؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ، ولذلك قال بعضهم : كم من أكلة منعَت من قيام ليلة ، وكم من نظرة منعت من قراءة سورة ، وإن العبد ليأكل أكلة ، أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة ، وكما أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن

الصلاة وسائر الخيرات . وقال بعض السجانين : كنت سجاناً نيفاً وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بليل أنه هل صلى العشاء في جماعة؟ فكانوا يقولون : لا .

وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر .

انتهى بتصرف [(١)] .

---

(١) ينظر / إحياء علوم الدين للغزالي ١/٣٥٦ ، ٣٥٧ .

فصل في الترهيب من ترك قيام الليل

إنه لايوفق عبد إلى قيام الليل ثم يتركه إلا كان ذلك بسبب ذنوبه ، وبعده عن الله ؛ لذا فإذا بدر ذلك منك ياعبد الله وتركت القيام ليالي أو أشهر فحاسب نفسك ، وسل قلبك : ماذا فعلت ؟! وسل جوارحك : ماذا اقترفت ؟!

وأعلم أن ترك القيام لمن كان يقومه منقصة ومذمةٌ .

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل نام ليلة حتى أصبح . قال : « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه » - أو قال « أذنه » متفق عليه .

واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مقت من ينام الليل حتى يصبح لايقوم يصلي .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ياعبد الله ، لاتكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل » . متفق عليه .

فصل فيما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح في قيام الليل

لقد عقدت هذا الفصل لأبين حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام وحاله فيه من الخشوع والبكاء والتطويل ، ولست أريد بعقده بيان هديه في القيام وعدد ركعاته وأحوال قنوته وغيرها لأني لن استوعبها في هذه الصفحات والتطويل هنا مخالف لجملة الرسالة وإنما أحيل القارىء الكريم على بعض الكتب التي وصفت قيامه صلى الله عليه وسلم وبينت أحكام هذا القيام سواء أكان ذلك في كتاب مفرد أم في جزء من كتاب قديماً وحديثاً .

فممن كتب فيه جزء من كتاب ابن القيم في كتابه القيم المشهور (زاد المعاد) [1] وممن أفرد له كتاباً من المحدثين الدكتور فيحان المطيري في كتابه (اسعاف أهل العصر بما ورد في أحكام الوتر) والأخير أوسع وأدق وأحرى بأن يطالع في هذه المسائل .

١- عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قام النبي صلى الله عليه

(١) الجزء الأول ص ٣٢٢ - ٣٤١ .

وسلم حتى أصبح ، بآية { إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم } [1] .

٢- عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قام النبي صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه . فقيل له : قد غفر لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر ؟ قال : « أفلا أكون عبداً شكوراً » [2] .

٣- قالت عائشة رضي الله عنها : « لاتدع قيام الليل ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايدعه ، وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً » [3] .

٤- عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من الشهر حتى نظن أن لايصوم منه ، ويصوم حتى نظن أن لايفطر منه شيئاً ، وكان لاتشاء أن تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ، ولانائما إلا رأيته . [4] .

---

(١) رواه أحمد ١٥٦/٥ ، والنسائي ١٧٧/٢ ، والحاكم ٢٤١/١ قال الارنؤوط اسناده صحيح .

(٢) رواه البخاري ومسلم . (٣) روا أبو داود ، وابن خزيمة في صحيحه .

(٤) رواه البخاري .

وسلم كان يصلي إحدى عشرة ركعة - تعني في الليل - يسجد السجدة من ذلك قدر مايقرأ أحدكم خمسين آية ، قبل أن يرفع رأسه ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر ، يم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المنادي للصلاة . [1] .

٦- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ، فلم يزل قائماً حتى هممت بأمر سوء ، قيل وماهممت . قال : هممت أن أجلس وأدعه » [2] .

٧- عن حذيفة رضي الله عنه قال : صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ، فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ، ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة ، فمضى ، فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ، ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلاً : إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه

---

(١) رواه البخاري .

(٢) متفق عليه .

نحواً من قيامه ، ثم قال : سمع الله لمن حمده ، ربنا لك الحمد ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريباً من قيامه . [1] .

٨- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه أخبره أنه سأل عائشة : كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان ؟ قال فقالت : ماكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً ، فلاتسأل عن حسنهن ، وطولهن ،ثم يصلي أربعاً فلاتسأل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي ثلاثاً ، قالت عائشة : فقلت : يارسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : « ياعائشة إن عيني تنامان ولاينام قلبي » [2] .

٩- عن عبد الله بن عباس أنه أخبره أنه بات عند ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وهي خالته ، قال : فاضطجعت في عرض الوسادة ، واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله في طولها ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا انتصف الليل

---

(١) رواه مسلم .

(٢) متفق عليه .

أو قبله بقليل أو بعده بقليل ، استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس يمسح النوم عن وجهه بيديه ، ثم قرأ العشر آيات الخواتم من سورة (آل عمران) ،ثم قام إلى شن معلقة ، فتوضأ منها فأحسن الوضوء ، ثم قام يصلي . قال عبد الله : فقمت ، فصنعت مثل ماصنع ، ثم ذهبت ، فقمت إلى جنبه ، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمني على رأسي فأخذ بأذني يفتلها ، فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر ، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن ، فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح »[1] .

١٠- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعاً يقول : سبحان الله ، ماذا أنزل الليلة من الخزائن ؟ وماذا أنزل من الفتن ؟ ومن يوقظ صواحب الحجرات يريد ازواجه،لكي يصلين ؟ رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة »[2]

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري ١٨/١٣٠ .

بعض الآثار عن السلف الصالح

في قيام الليل

١- روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه « كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياماً كثيرة كما يعاد المريض » (١) .

٢- وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح (٢) .

٣- وكان طاوس رحمه الله إذا اضطجع على فراشه تقلى عليه كما تقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي إلى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين (٣) .

٤- وقال الحسن : مانعلم عملاً أشد من مكابدة الليل ونفقة هذا المال فقيل مابال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً قال لأنهم خلوا بالرحمن فاكسبهم نوراً من نوره (٤) .

٥- قال الفضيل : إني لاستقبل الليل من أوله فيهولني طوله

(١ - ٤) إحياء علوم الدين ١ / ٣٥٥ .

فافتتح القرآن فأصبح وماقضيت مهمتي [1] .

فانظر يرعاك الله إلى اللذة التي يشعر بها حتى لايشعر بالوقت بل يحسبه قصيراً في جانب مناجاته لربه .

وليس ذلك كل ليلة . . فحاشا أن يخالفوا سنة رسول الله وإنما أخبر عن هذا الحدث ولو كان ليلة .

٦- وقال أيضاً : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فأعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك [2] .

٧- كان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت : ياأهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا: أصبحنا ؟ أطلع الفجر ؟ فقالت وماتصلون إلا المكتوبة ؟! قالوا : نعم ، فرجعت إلى الحسن فقالت : يامولاي بعتني من قوم لايصلون إلا المكتوبة فردني فردها [3] .

٨- قال الربيع : بت في منزل الشافعي رحمه الله ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيراً [4] .

(١ - ٤) المرجع السابق .

٩- وكان أبو حذيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا : إن هذا يحي الليل كله ، فقال : إني استحي أن أوصف بما لا أفعل · فكان بعد ذلك يحي الليل كله [١] ·

وقد سبق أن بينت أن إحياء الليل كله منهي عنه فلعل من روى ذلك عن ابي حذيفة اعتقد ذلك كما وصفوه بذلك من قبل ولم يكن يقوم إلا نصف الليل ·

١٠- يقال إن مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح - { أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات } - الآية [٢] ·

١١- وقال المغيرة بن حبيب : رمقت مالك بن دينار - رحمه الله- فتوضأ بعد العشاء ثم قام إلى مصلاة فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار ، إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك ، وأي الدارين دار مالك فلم يزل يقول ذلك حتى طلع الفجر [٣] ·

(١ - ٣) إحياء علوم الدين ١ / ٣٥٥ ·

١٢- وقال مالك بن دينار سهرت ليلة عن وردي ونمن فإذا أنا في المنام بجارية كأحسن مايكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ ؟ فقالت : نعم فدفعت إلى الرقعة فإذا فيها :

أألهتك اللذائذ والأماني عن البيض الأوانس في الجنان

تعيش مخلداً لاموت فيها وتلهو في الجنان مع الحسان

تنبه من منامك إن خيراً من النوم التهجد بالقرآن [١] .

١٣- عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه « كان إذا فاتته صلاة العشاء في جماعة أحي بقية ليلته » [٢] .

« وكان رضي الله عنه كلما استيقظ من الليل صلى » [٣] .

١٤- عن برد مولى بن المسيب قال : مانودى للصلاة منذ أربعين سنة إلا وسعيد في المسجد »[٤] .

١٥- عن مسلمة بن محارب قال : قدم عروة بن الزبير على

---

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٣٥٥ .
(٢) حلية الأولياء لابي نعيم ١ / ٣٠٣ .
(٣) حلية الأولياء لابي نعيم ١ / ٣٠٤ .
(٤) حلية الأولياء لابي نعيم ١ / ١٦٣ .

الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد بن عروة فدخل محمد بن عروة دار الداوب فضربته دابة فخر فحمل ميتاً ، ووقعت في رجل عروة الأكلة ولم يدع تلك الليلة ورده ، فقال له الوليد : اقطعها . قال لا فترقت إلى ساقه . فقال له الوليد : اقطعها وإلا فسدت عليك جسدك ، فقطعت بالمنشار وهو شيخ كبير ، فلم يمسكه أحد ، وقال لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا .

وقال محمد بن عبيد : لم يترك عروة بن الزبير ورده إلا في الليلة التي قطعت فيها رجله قال : وتمثل بأبيات معن بن أوس

لعمرك ماأهويت كفي لريبة

ولاحملني نحو فاحشة رجلي

ولاقادني سمعي ولابصري لها

ولادلني رأيي عليها ولاعقلي

وأعلم أني لم تصبني مصيبة

من الدهر إلا قد أصابت فتى قبلي[1]

---

1) الحلية ٢ / ١٧٨ .

خاتـمة

وبعد أن أتممت - بعون الله وفضله - هذه الرسالة ، فإني اعتذر عما جاء فيها من تقصير ، وإنما كتبتها إرشاداً لنفسي وعوناً لها على القيام ، وحرصت أن يشاركني إخواني في الفائدة ، فرجوت ذلك بطباعتها ، علها تكون لي عذراً بتبليغ النصيحة للمسلمين عامة ، عسي الله أن يهدينا للقيام بما فرض علينا ويمنّ علينا بالتقرب إليه بما يحب ويرضى ، ويتقبله منا جميعاً . وأسأله أن يرفع عن هذه الأمة ماحل بها من فرقة وفتن وبلاء .

وأذكرك أخي أن العمل الصالح في هذا الزمان ، بات شاقاً على النفوس المولعة بالدنيا ، فأغلب الناس اليوم ملقىً في قلبه الهوان ، حب الدنيا وكراهية الموت ، لذا فإن المتمسك بدينه يجد نفسه تتجاذبه الفتن وتعرض عليه صباح مساء ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر » .

وأبشر ياأخي فهذا زمان الصبر ، أجر المؤمن فيه كأجر خمسين

من الصحابة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلنكن ممن يسارع في الخيرات ، ويدعو الله رغباً ورهباً .

جعلنا الله من المتقين وحشرنا في زمرتهم وأوفدنا وفادتهم .. اللهم آمين ..

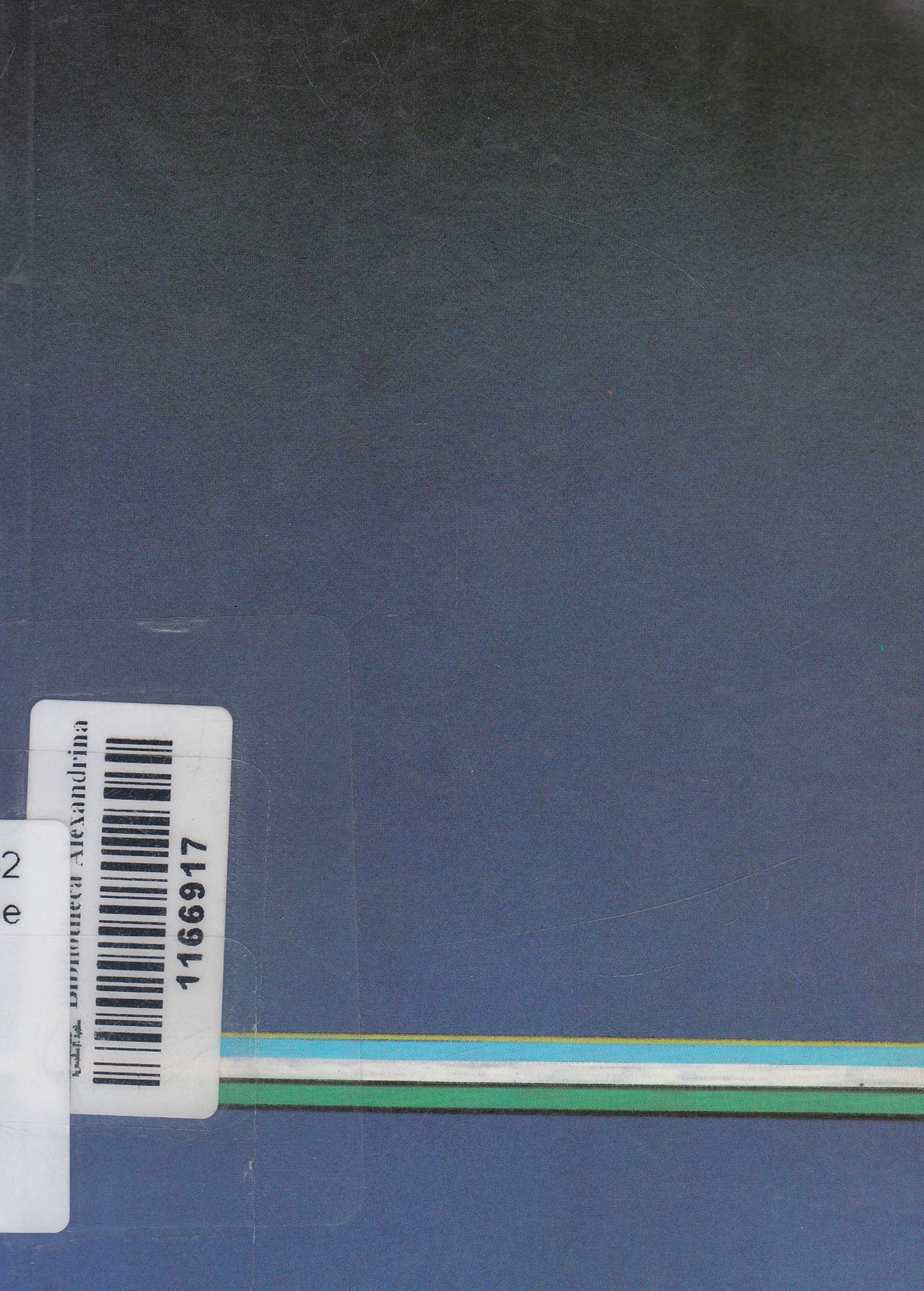
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

كتبته

أم عبد الله رقية بنت محمد بن محارب

الرياض غرة ذي القعدة ١٤١١هـ


Bibliotheca Alexandrina
1166917